مجلة المجمع العلمي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

مجلة المجمع العلمي

الجزء الثاني ـ المجلد الخامس والخمسون

بغـــداد

١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

الاحتجاج بلغة الشافعيّ

الدكتور عادل شحاذة علي الخزرجي

كلية الآداب – الجامعة الإسلامية

الملخص:

هذا بحث غايته بيان القيمة الحقيقية للإمام الشافعي في ميدان اللغة وفضله عليها وتجديد الدعوة إلى اعتماد لغة الشافعي في البحث اللغوي والنحوي وان تلفت انتباه الدارسين والباحثين في ميدان اللغة والأدب ليغرفوا من مناهل الشافعي فيكون لهم فيه حصة كما كان لغيرهم . أن الشافعي لم يبعد عن اللغة ؛ فما زال في إرثه منافع للغة من ثلاثة اعتبارات :

الأول : لغة الشافعي في شعره ونثره ، والثاني: آراؤه الخاصة في مسائل من اللغة ، والثالث : تفسيره ألفاظ اللغة ومعانيها وإسنادها بشواهد مما اختزنته حافظته الرائعة .

وهذا البحث يمهد للشروع بدراسة هذه الاعتبارات الثلاثة ببحوث أخرى نتهيأ لانجازها باذنه تعالى.

وقد قسمت البحث على ثلاثة مباحث تقدمها تمهيد كان في موضوعين : الأول عرضت فيه (نبذة في حياة الشافعي) استنبطت منها جملة حقائق تخدم الغرض من البحث وتقوي حجة من دعا الى الاحتجاج بلغة الشافعي ، والثاني عرضت فيه المستويات اللغوية السائدة في عصره .

ثم جاء المبحث الأول تحت عنوان (عصور الاحتجاج وموقع الشافعي منها) ناقشت فيه القيد الزماني و المكاني الذي وضعه اللغويون لهذه العصور . ومع أني دافعت عن هذا القيد ، دعوت إلى استثناء الشافعي منه ذاكرا ست حجج في ذلك .

وفي المبحث الثاني عرضت شهادات تقويم قالها قدماء ومحدثون تثبت (فصاحة الشافعي) وتقوي (الدعوة إلى الاحتجاج بلغته) ولكني نبهت إلى أن (من احتج فعلا بلغة الشافعي) كانوا قلة قليلة وقد ذكرت مواضع احتجاجهم .

وفي المبحث الأخير عرضت رواية نسبت للشافعي ثلاث سقطات لغوية ناقشتها مفندا إياها ؛ لتبقى لغة الشافعي فوق كل شبهة .

وفي نهاية البحث ذكرت قائمة بالمصادر والمراجع الكثيرة التي أفدت منها في إعداد هذا البحث .

المقدمة:

قل الإمام احمد بن حنبل : ما أحد يحمل محبرة من أصحاب الحديث إلا وللشافعي عليه منة[1]

ولعل أحدا من أهل الفقه والحديث يعترض علينا – نحن أهل اللغة والأدب – ويقول : هذه المقولة نؤمن بها ونرددها في كتاباتنا ومناظراتنا نحن الباحثين في شؤون الفقه والدين والحديث – فما شأنكم بها انتم ومالكم وللشافعي ؟.. وما تريدون من فضل الشافعي عليكم وعلى اللغة ، وانتم ونحن نعرف انه لم يناظر يوما الخليل ولا شافه سيبويه ، بل لم يلتقهما مرة ولم يدخل في لجج الخلاف بين البصريين والكوفيين ولم يؤلف كتاب في اللغة أو النحو ؟! ولم يحتج النحاة بشعره ونثره لأنهم لا يقيمون وزنا للغة معاصريهم ؟!..

أقول : كل هذا كان يصح عندي قبل أن أفكر في كتابة هذا الموضوع . ولعله يصح الآن عند بعض من أصحابنا أهل اللغة والنحو أنفسهم .. ولكن كانت قد هدتني إحدى مطالعاتي فيما سلف من الوقت إشارة وردت – عرضا – في بعض الكتب تفيد أن كلام الشافعي حجة عند أهل اللغة !.. فدهشت حينها ؛ لعلمي أن الشافعي خارج عن عصور الاحتجاج اللغوي التي احكمها أهل اللغة ولأني لم اطلع على استشهاد بكلامه في أي كتاب من كتب اللغة والنحو التي نتداولها ، فدفعني حب الاطلاع إلى الاستزادة ، فوجدت مثل هذه الإشارة تتكرر

---

[1] الديباج المذهب ٢٢٨/١ وينسب مثل هذا القول إلى تلميذ الشافعي أبي علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني إلا أن عبارته كانت مطلقة وليس فيها تخصيص لأصحاب الحديث . ينظر وفيات الاعيان ٧٣/٢

في اكثر من كتاب ثم وجدت من المحدثين من يجدد الدعوة إلى إقامة الاعتبار للغة الشافعي في ضبط قواعد اللغة ؛ فعقدت العزم على المضي قدما في إتمام البحث في هذا الموضوع ولم شتاته وتمحيص أبعاده . وبحمد لله تجمعت عندي مادة وفيرة اقتضت مني أن امنح هذا الموضوع جهدا كبيرا يستحقه يتوزع على اكثر من بحث يتم بعضها بعضا وصولا إلى الغاية المنشودة وهي بيان القيمة الحقيقية للشافعي في ميدان اللغة وفضله عليها والانتفاع من نظراته في دقائق من اللغة وتفسير ألفاظها ونشر ذلك كله بين الناس ؛ خدمة للغة وإنصافا لهذا الإمام الجليل الذي انصفه القدماء والمحدثون بالثناء الحسَن والقول المعبر عن قوة فصاحته وسلامة لغته ولكن اكثرهم لم ينصفوه بالعمل والتطبيق . وهاأنذا أضع بين يدي القارئ الكريم البحث الأول الذي يمهد لبحوث أخرى ، إن شاء الله ، وقد أردنا منه أن نجدد بدورنا الدعوة إلى اعتماد لغة الشافعي ومؤلفاته في البحث اللغوي والنحوي وان نلفت انتباه الدارسين والباحثين في ميدان اللغة والأدب ليغرفوا من مناهل الشافعي فيكون لهم فيه حصة كما كان لغيرهم . أن الشافعي لم يبعد عن اللغة ؛ فمازال في إرثه منافع للغة من ثلاثة اعتبارات :

الأول: لغة الشافعي في شعره ونثره ، ففي الأمر متسع للباحثين للعودة إلى مؤلفاته-

وان كانت في ميدان الفقه والحديث الشريف وعلوم الدين- والى ديوانه الشعري المطبوع والمحقق اكثر من مرة ، والى ما نقله عنه الآخرون من أقوال وحكم

ومأثورات بليغة في مؤلفاتهم ، لاستخراج نماذج من جمله وعباراته لتكون شواهد لغوية جديدة موثقة لأنها نالت القبول العالي عند معظم أهل العلم ، كما سنرى[٢] .

والثاني: جمع ما تناثر من آرائه الخاصة في مسائل من اللغة[٣].

والثالث : جمع ما تناثر في مؤلفاته من تفسير للألفاظ وبيان لمعانيها وإسناد لشواهدها مما اختزنته ووسعته حافظته الرائعة [٤].

نبذة في حياة الشافعي

لم يكن من وكدي أن أتناول في هذا البحث سيرة الإمام الشافعي ، لأن المعروف لا يعرّف ، ولكن تمام جوانب الموضوع وصولا إلى التعرف على القيمة الحقيقية للغة الشافعي وصدق دعوة من دعا إلى اعتمادها في الاستشهاد اللغوي هو ما حفزني إلى عرض هذه النبذة بداية ، فأقول[٥] :

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن الشافع ابن السائب بن عبيدة بن عبد يزيد بن هاشم بن مطلب بن عبد مناف جد النبي (صلى الله عليه وسلم) . وشافع ابن السائب ، الذي ينسب إليه الشافعي ، لقي النبي (صلى الله عليه وسلم) في صغره وأسلم أبوه السائب يوم بدر فإنه كان صاحب راية بني هاشم .

---

[٢] وقد جمعنا أمثلة كثيرة من استعمالات الشافعي تلك ، عاقدين العزم على التوسع فيها واستقصائها بدراسة مستقلة مستقبلا بمشيئة الله تعالى

[٣] قد أحصينا هذه الآراء و درسناها وسنعرضها في بحث خاص أن شاء الله تعالى ،

[٤] وهذه كثيرة قد تشكل معجما كاملا لو جمعت ، لعل الله يوفقنا أو أحدا غيرنا إلى متابعته وإنجازه مستقبلا .

[٥] الكتب التي ترجمت للإمام الشافعي كثيرة جدا يصعب ذكرها هنا ، ومنها ما انفرد بسيرته ومناقبه وبلغ هذا النوع وحده نحو أربعين كتابا (ينظر كشف الظنون ١٨٤٠/٢) طبع منها ثلاثة كتب هي كتاب ابن أبي حاتم وكتاب البيهقي وكتاب الفخر الرازي ، فكانت معتمدنا في إيجاز هذه الترجمة زيادة على كتب الطبقات والتراجم وغيرها. ينظر على سبيل المثال :طبقات الفقهاء ١٧٧/١-١٨٨، سير أعلام النبلاء ٦/١٠

وكانت ولادة الشافعي بغزة في فلسطين ، وقيل: بمنى من مكة ، وقيل باليمن والأول أشهر وكان ذلك سنة خمسين ومئة للهجرة ، وهي السنة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة ، ثم حملته أمه إلى مكة بعد أن مات أبوه إدريس شابا ، وهو ابن سنتين ونشأ بها وحفظ القرآن وهو أبن سبع . وقد نشأ فقيرا معدما إلا من الرغبة في العلم والمعرفة . قال :" كنت يتيما في حجر أمي ولم يكن معها ما تعطي المعلم وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه أذا قام فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة وكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة وكانت لنا جرة عظيمه فإذا امتلأ العظم تركته في الجرة . وفي رواية أخرى : فأمتلأ من ذلك حُبان[٦]" .

ثم أقبل على الرمي حتى فاق فيه الأقران وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة ثم أقبل على العربية فبرع في ذلك وتقدم ودفعته رغبته في امتلاك أسباب الفصاحة وقوة الحجة واللسان إلى الهجرة إلى مواطن الفصاحة والشعر ، فيروى عنه انه قال:" أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها[٧]" .

ثم حبب إليه الفقه فساد أهل زمانه ؛ فقد تفقه على مسلم بن خالد مفتي مكة حتى أذن له في الإفتاء وهو ابن خمس عشرة سنة ، كما أخذ العلم عن داود ابن عبد الرحمن العطار وعن عمه محمد بن علي بن شافع ، وهو ابن عم العباس جد الشافعي ، ثم رحل إلى الإمام مالك بن أنس بالمدينة فلازمه حتى توفي مالك . ومن هنا ارتحل إلى اليمن طلبا للرزق والعمل وعمل قاضيا فحسنت أحواله بحسن تصرفه وكفاءته فيما يوكل إليه ، إلى إن ذلك لم يدم فسرعان ما حمل مقيدا إلى بغداد سنة خمس وتسعين ومائة بأمر من الخليفة هارون الرشيد إثر تهمة

---

[٦] صفوة الصفوة ٢/٢٤٩

[٧] سير أعلام النبلاء ١٠/١٣

لفقها عليه حساده والحاقدون عليه وأنموها إلى الخليفة مدعين تزعمه طائفة من الخارجين على الحكم والسلطان ولكن الشافعي تمكن من أن يدافع عن نفسه خير دفاع وهو أسير مكبل بالحديد بين يدي الخليفة وحاشيته في مناظرة مشهودة أسرت لب الخليفة وأقنعته ببراءته فأطلق أسره وأحسن إكرامه فأقام الشافعي ببغداد سنتين فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه العلم واخذ هو عن كبار فقهاء العراق آنذاك وفي المقدمة منهم إمام الحنفية : محمد بن الحسن ، وصنف بها الكتب القديمة ثم خرج إلى مكة حاجا ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائه فأقام بها شهرين أو اقل ثم خرج إلى مصر فلم يزل بها ناشرا للعلم ومصنفا بها الكتب الجديدة حتى توفي يوم الجمعه سلخ رجب سنة أربع ومائتين .

نستنتج من عرض هذه السيرة الموجزة مما له علاقة بموضوعنا ما يأتي :

١- انه عربي المحتد والأصل فهو قرشي ثم هاشمي يمت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) بصلة قرابة قوية ؛ فلا بد من أن يكون قد ورث عنهم – من بين ما ورث – سمة الفصاحة وقوة المنطق وسلامة التفكير ، فان افصح العرب بالإجماع قريش لأنها كانت "أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس[٨].

٢- نشأ محبا للعربية السليمة منذ صغره وانصرف للاهتمام بها وتفوق فيها قبل أن يحبب إليه الفقه ويبرز فيه .

٣- ذاكرته قوية جدا، ساعدته على أن يحفظ مبكرا حفظا تاما أرقى نصوص اللغة فصاحة وهي ، بحسب تسلسل حفظ الشافعي لها : القرآن الكريم ، ثم أشعار الفصحاء ودواوين القبائل ولاسيما قبيلة (هذيل) ، ثم الحديث النبوي الشريف .

---

[٨] المزهر ٢١١/١

ومثل هذه الذخيرة الواسعة تؤهل صاحبها لان يعتلي سنام اللغة والفصاحة والبيان بلا منازع .

٤- أوتى الشافعي كثيرا من المواهب العقلية فكان قوي المدارك و" قويا في كل قواه العقلية ، كان حاضر البديهة تتثال عليه المعاني انثيالا في وقت الحاجة إليها ، لم يكن به حبسه فكرية ولم يكن ممن تغلق عليه الأمور بل كان يلقي على من يدرس ضوءا من تفكيره فتتضح بين يديه الحقائق ويستقيم أمامه منطقها فيسلك به مسالكها وكان عميق الفكرة بعيد الغوص ..."[٩] وهذا كله ساعده على أن يكون "قوي البيان واضح التعبير بين الإلقاء أوتي مع فصاحة لسانه وبلاغة بيانه وقوي جنانه صوتا عميق التأثير يعبر بنبراته كما يوضح بعباراته..." [١٠]

٥- اخذ اللغة الفصحى مشافهة من موطنها في البادية ولم يتعلمها بالدرس والتلقين ويبدو إن سبب ذلك يعود إلى أن البيئة الثقافية للحجاز آنذاك اتجهت كلية إلى الدرس الفقهي والحديثي ولم تعرف الدرس اللغوي أو النحوي الذي كانت تنشط به بيئة العراق بحاضرتيها : البصرة والكوفة آنذاك ." وبذكائه وملاحظته أدرك الشافعي (رضي الله عنه) أن لغة قريش قد دخلتها ألفاظ غريبة ولم يعد لسانها هو اللسان العربي السليم قي فصاحته وبيانه .. ثم انه في تأمله للقرآن الكريم والحديث الشريف أحس بالحاجة الشديدة والضرورة الماسة إلى تفهم أعمق لمعاني الكلمات وأسرار التركيب .. كان يحضر في المسجد الحرام دروس الليث ابن سعد إمام مصر وحلقاته - حين كان يأتي الحجاز حاجا أو معتمرا وكان يسمعه ينصح مستمعيه أن يتقنوا اللغة واسرارها بلاغة وبيانا وان يحفظوا الشعر الذي سبق نزول القرآن الكريم أو عاصره ليحسنوا فهم معاني الكتاب

---

[٩] الشافعي حياته وعصره (محمد ابو زهرة) ٣٥

[١٠] نفسه

المنزل وكذلك الحديث وينصحهم بالخروج إلى البادية "[11] وبذكائه أيضا اختار هذيلا من بين قبائل البادية لتكون مستقرا جديدا له لأن لغة هذه القبيلة لغة نقية عالية الفصاحة لذا كانت موضع اهتمام اللغويين والنحويين وقد كانت " مثلا حيا في فصاحة اللسان وسعة البيان وكانت بعيدة دائما عن المؤثرات الخارجية فاحتفظت بمقوماتها وصحتها وبعدت عن الدخيل.."[12]

المبحث الأول :عصور الاحتجاج وموقع الشافعي منها:

نشأت اللغة العربية في موطنها من جزيرة العرب خالصة لأهلها نقية سليمة معافاة من مخاطر المخالطة والتداخل بلغات الأقوام من حولها وظلت كذلك أحقابا من جاهليتها وصدر إسلامها . فكان العرب ينطقون عربية سليمة" عن سليقة جبلوا عليها ، فيتكلمون في شؤونهم بلا تعمل فكر ورعاية إلى قانون كلامي يخضعون له ، قانونهم ملكتهم التي خلقت فيهم ، ومعلمهم بيئتهم المحيطة بهم"[13] ولكن سرعان ما بدأت هذه الملكات والسلائق تضعف فيهم وتفسد لاسباب يوضحها ابن خلدون بقوله :" فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بما القي إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع

---

[11] اللائمة الأربعة (محمد علي قطب): ٨٢-٨٣ .

[12] شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي (د. احمد كمال زكي) ٣١٣

[13] نشأة النحو (محمد طنطاوي)١٢

والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسمية إعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وأمثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو"[١٤] .

وقد كان الواقع اللغوي الذي عاشته اللغة العربية في القرنين الهجريين الاول والثاني (ومن ضمن ذلك عصر الشافعي) يتسم بثلاث مستويات من العربية ، هي[١٥]:

١- اللغة المثالية(المشتركة) متمثلة بلغة القران الكريم ولغة الشعر الخالي من الظواهر اللهجية المحلية.

٢- اللغة البدوية وهي لغة بوادي نجد وتهامة والحجاز، وهي لا تختلف عن اللغة المثالية إلا في استعمال اللهجات المحلية كالكشكشة والعنعنة .

٣- لغة الحواضر وهي لغة المدن كمكة والمدينة والطائف وأطراف الشام وهي تتفاوت في مستوياتها بحسب قربها من اللغة المثالية ، على أن لغة مكة (قريش) التي خلت من العادات اللهجية المستهجنة كانت فصحى اللغات ، وان شابها بعض التأثر بلغات الجاليات التي استوطنت في مكة وأطراف الجزيرة والشام . فأما اللغة المثالية فقد كانت شائعة في الجزيرة العربية ومعروفة في قبائلها على اختلاف لهجاتها وكانت موضع اهتمام العرب جميعا حتى عرب الحواضر الذين كانوا يرسلون أطفالهم إلى [illegible] ، ويأخذوا من أفواه أصحابها ، تدفعهم إلى ذلك الرغبة في صون ألسنتهم من اللحن الذي استهجنوه ولاسيما بعد أن استشرى هذا اللحن في ثلاثة مستويات : القراءة

---

[١٤] مقدمة ابن خلدون ٥٤٦/١ دار القلم بيروت ١٩٨٤

[١٥] ينظر كتاب المفصل في تاريخ النحو (محمد خير الحلواني) ١٩

القرآنية والخطابة واللغة المحكية . وأن كان قد ظل بعض الناس على فصاحتهم وإعرابهم فلم يلحنوا في جد ولا هزل في عصر تجاوز القرن الأول الهجري ، منهم الحسن البصري والحجاج وأبو عمرو بن العلاء وأبو زيد الأنصاري .. على أن اللحن بدأ يتوسع بعد هذا التاريخ حتى بات من لا يلحن لعهد بني أمية قليلا جدا. ولما صار الأمر لبني العباس فشت العجمة في الحضر وغلبت على السليقة في حين ظلت لغة البداة سليمة من اللحن .. لهذا كانت هدف النحاة وطالبي العربية والفصحاء الحريصين على اخذ اللغة من منابعها الأصيلة فكانوا يشدون الرحال إليها ويمضون دهرا من عمرهم بين ظهراني أهلها ينهلون من أفواههم لغة سليمة فصيحة يدخرونها ليوم عودتهم لحواضرهم لينافسوا بها أقرانهم ... وقد كان الشافعي واحدا من هؤلاء ..

إزاء واقع كهذا وجد اللغويون الرواد أنفسهم ملزمين بحصر البيئة اللغوية التي يريدون ضبط قواعدها ومعرفة سمتها وسننها حصرا زمانيا ومكانيا ، فقبلوا الاحتجاج بأقوال الجاهلين وفصحاء الإسلام ممن سكنوا الحواضر والمدن حتى منتصف القرن الثاني فكان ابن هرمة المتوفى سنه (١٥٠ هجرية) الذي ختم الأصمعي به الشعر ساقة الشعراء آخر من يحتج بشعره بالإجماع[١٦] . أما أهل البادية فقد استمر العلماء يدونون لغاتهم حتى فسدت سلائقهم في القرن الرابع الهجري .

ولا نرى في عملهم هذا نوع من التحجير والعقم والبعد عن طبيعة الأشياء ، أوانه تضييق في اللغة وقبض لها من أن تنطلق مع الزمن تأخذ منه ما يتقدم بها ويجعلها مواكبة لكل تقدم وازدهار – كما زعم بعض الدارسين المعاصرين[١٧]– بل نرى في مثل هذا الزعم نفسه تخليطا في إدراك المقاصد

---

[١٦] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ٠(تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)١٣١

[١٧] ينظر في أصول النحو:١٦ ، واثر القرآن والقراءات في النحو العربي (د ٠ محمد سمير اللبدي) :٤٩

وفهم الحقائق وافتراضا لتهمة باطلة لم تحصل- ولن تحصل- تلصق بهتانا بمن لم يرتكبها ؟... فلا ندري لم هذا الإصرار من هؤلاء النقدة على الربط بين وضع قواعد اللغة وتقنين ثوابتها ؛ صونا للألسنة من الزلل ومنعا للغة من الفساد والتحريف ، وبين إماتة تلك اللغة أو تحجيرها وعقمها أو انطلاقها مع الزمن؟ وهل ماتت العربية فعلا أو ضاقت على متكلميها بما رحبت وتحجرت على نفسها يوم إن رصد اللغويين قواعدها؟!... فكيف تمكنت لغة جمدت وتحجرت أن تصمد شامخة على الطود بعد مضي أكثر من اثني عشر قرنا على وضع قواعدها ، وقد أنجبت من الفصحاء والبلغاء والشعراء الناطقين بها والملتزمين بحرص بقواعدها وثوابتها ما عجزت عنه غيرها من اللغات..؟!. ولذلك كان عمل اللغويين ضروريا ولا يخالف سنن الأشياء ، كما نرى ، فلو أنهم تركوا الباب مفتوحا لكل العصور ولكل الأماكن والأشخاص والقبائل لصار جهدهم إلى انفلات وتشتت وضياع يصعب معه ضبط ثوابت اللغة وصياغة قواعدها ولكنهم كانوا محكومين بمهمة جسيمة وعظيمة ألا وهي الإحاطة الكاملة بلغة الكتاب المقدس الذي نزل على نبيهم العربي ((صلى الله عليه وسلم)) وهي لغة عربية مبينة كما يثبت القرآن نفسه في غير ما موضع منه ، ولما كان كل نبي لا يرسل إلا بلسان قومه صار جزما أن لغة القرآن ولغة السنة الرديفة لها هما (من حيث السنن والقواعد والتراكيب والألفاظ) لغة العرب أنفسهم إلى عصر النبوة أو إلى ما قرب منها زمنا ، فصار لزاما على أهل اللغة أن يغلقوا باب الاستشهاد ولا يتوسعوا فيه ، بل كان في مدهم الاحتجاج إلى ما بعد عصر الرسالة عصر النبي ((صلى الله عليه وسلم)) بأكثر من قرن فضل تسامح وانفتاح لا تحجر منهم وانغلاق ، علما أن المنهج الوصفي الحديث لا يرتضي هذا التوسع في مد عصور الاحتجاج لان وصف اللغة لا يكون الا باستقرارها في

الزمان الواحد والمكان الواحد[١٨] مع ان القيد الذي ألزم اللغويون أنفسهم به يكاد يقترب مما يريده المنهج الوصفي ، لان تضييقهم مآخذ اللغة زمانيا بما قرب من زمن القرآن وظهور الإسلام ، ومكانيا بالاقتصار على القبائل الضاربة في وسط الجزيرة كقيس وتميم وأسد هذيل وكنانة ، يبعدهم بدرجة ما عن شبهة التخليط التي يزعمها الوصفيون ولكنه لا يبرئهم منها تماما لأسباب لسنا بموضع يسمح بتفصيلها.

ولكن ..! مع دفاعنا عن ضرورة تحديد عصور الاحتجاج ندعو إلى استثناء مشروط في أفراد من خارج تلك العصور وقريبين منها ، وليس استثناء لعصور أخرى أو فتحا للباب على مصراعيه[١٩]. والإمام الشافعي أفضل من امتلك تلك الشروط تامة ، بل لعلنا لا نجد مثلها في غيره ، وهو ما يريد هذا البحث أن يبرزه...

فالإمام الشافعي جدير ، وبكل المقاييس والاعتبارات بأن يكون "من أهل اللغة ، ومن فصحاء العرب الذين يحتج بلغتهم كالفرزدق وغيره ، لأنه عربي النسب والدار والعصر "[٢٠] بل"كان قوله حجة في اللغة كقول امرئ ألقيس ولبيد ونحوهما"[٢١]

ومن الاعتبارات التي تزيد القناعة بان يعد الشافعي من بيت اللغة وأهلها ، وأن يحسب على عصور الاحتجاج ما يأتي:

١. إذا كان اللغويون قد توقفوا عند سنة (١٥٠ هجرية) في الاحتجاج بكلام العرب في المدن والحواضر فان الشافعي لم يكن ببعيد عهد عن هذه

---

[١٨] ينظر مناهج البحث اللغوي (د.نعمة العزاوي):١٣٧

[١٩] ينظر: اللغة والنحو بين القديم والحديث (عباس حسن) ٢٤-٣١

[٢٠] لمجموع ٩ / ٩٣

[٢١] طبقات الشافعية للاسنوي (تحقيق عبد الله الجبوري) ١٣/١

السنة ، فهي السنة التي ولد فيها ، فزمنه متصل مباشرة بعصور الاحتجاج وليس منقطعا عنها . ثم إننا لا يمكن أن نتصور انهم أرادوا بهذه السنة حدا زمنيا قاطعا لا اعتبار بعده لما يعقبها مباشرة من سنين قليلة ومحدودة.

٢. ومن جهة أخرى يمكن أن نعد الشافعي خاضعا للامتداد الزمني الآخر لعصور الاحتجاج الذي أوصله اللغويون إلى القرن الرابع الهجري الخاص بأهل البادية في الجزيرة العربية ، لأننا عرفنا سابقا انه قضى شطر شبابه في مرابع قبيلة هذيل يأخذ عنها اللغة ما يقرب عشرين سنة متواصلة ، وهي مدة تكفي لأن تجعله من أهلها .

٣. ثبت بشهادة الثقات ، وهو منهم ،انه لم يلحن قط في حياته لا نطقا ولا كتابة ، واجمع معاصروه على فصاحته . وهذا اعتبار له قيمة في الاحتجاج ، لان "مرد الأمر كله.. إلى الوثوق من سلامة لغة المحتج به وعدم تطرق الفساد إليه"[٢٢] وقديما أجاز ابن جني الأخذ عن أهل المدن إذا ثبت بقاؤهم على الفصاحة[٢٣]

٤. ليس محالا أن نجد ، بعد عصور الاحتجاج ، بيئات عربية خالصة أو أفرادا استطاعوا أن يحتفظوا بسلامة ألسنتهم ونقاء ملكاتهم ليمتازوا من غيرهم ويشار إليهم بالبنان ويكال لهم المديح في ذلك[٢٤] ، ويقول يوهان فك :"ولهذا كان لا يزال ممكنا في أوائل العهد العباسي أن يلاقي السرء من جنوبي البرتغال [الأندلس] في الغرب إلى خراسان في الشرق قبائل عربية ، وأن يسمع من أفواهها عربية بدوية

---

[٢٢] في أصول النحو :٢٥

[٢٣] الخصائص لأبن جني ٥/٢

[٢٤] ينظر النقد اللغوي عند العرب حتى القرن السابع (د.نعمة العزاوي) ٦٠-٦١

خالصة لا تشوبها هجنه ولا عجمة[٢٥] " ولا نستبعد مثل ذلك عن الشافعي الذي نال قصب السبق على أقرانه فيه.

٥. وإذا كان قد ذهب بعض اللغويين كابي علي الفارسي و الزمخشري إلى جواز الاستشهاد بكلام علماء اللغة ورواتها بدعوى أن الوثوق بكلامهم كالوثوق برواياتهم وانه من "الاستشهاد بتقرير النقلة كلامهم وانه لم يخرج عن قوانين العرب "[٢٦] فان الشافعي أجدر منهم بالثقة قاطبة وإن الاستشهاد بكلامه أولى من الاستشهاد بكلام أي من رواة اللغة الفصحاء الثقات الآخرين ؛ فقد جمع الشافعي إلى رواية الحديث الشريف والسنة المطهرة رواية اللغة عن العرب الفصحاء (ولاسيما قبيلة هذيل التي ، استوطن مرابعها عشرين سنة) ، وهو عدل ثقة عند أهل الحديث كما انه عدل ثقة عند أهل اللغة أيضا – كما سنرى– وبذلك اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره ، فكان ينبغي لمن يستشهد لمسائل اللغة والنحو أن يطمئن لكلام الشافعي ويتقبله بالقبول الحسن . وكان أهل اللغة قد اشترطوا من قبل أن "تؤخذ (اللغة) سماعا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة ويتقى المظنون"[٢٧] كما أنهم جعلوا عدالة ناقلي اللغة بمنزلة عدالتهم في الشرعيات[٢٨] والشافعي حاز السبق في العدالة من الوجهتين (اللغة و الشرع) .

٦. وإذا كان بعض اللغويين – أيضا– قد اعتمد أصلا أخر في صحة الاحتجاج بكلام المولدين وهو (سكوت علماء اللغة عليه وعدم انتقادهم له)[٢٩] فان

---

[٢٥] العربية: ليوهان فك (ترجمة : د. رمضان عبد التواب):١٨

[٢٦] المزهر ٥٨/١. وقد استشهد الزمخشري ببيت لأبي تمام وقال:" اجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه" الكشاف وينظر في أصول النحو :٢٠والقياس في اللغة العربية (محمد الخضر حسين)٣٥-٣٦

[٢٧] المزهر ٥٨/١

[٢٨] نفسه

[٢٩] القياس في اللغة العربية ٣٧

كلام الشافعي أولى بان يلحق بكلام العرب في صحة الاستشهاد به ؛ لأنه قد حظي بالثناء الحسن إجماعا منهم وليس النقد والتجريح.

المبحث الثاني : فصاحته والدعوة إلى الاحتجاج بلغته :

فصاحته :

يكاد الإجماع ينعقد على أن الشافعي من أفصح العرب في وقته وابلغهم بيانا وأسلمهم نطقا فلقد شهد له بذلك كثير من معاصريه ممن سمعوا منه أو حتى من جاء بعدهم . وشهاداتهم تلك لها اعتبار وقيمة لأنهم هم أنفسهم أهل فصاحة ودراية بكلام العرب فإذا شهدوا بإجماع لفصاحة أحد فشهادتهم هي الحق . وقبل أن نسرد أقوال العلماء تلك نعرض أولا تقويم الشافعي نفسه للغته ؛ فشهادته هنا لا تقل شأنا عن شهادات الآخرين إن لم تفقها قيمة ؛ لأنها تأتي متوافقة وذلك الإجماع المدهش على فصاحته – كما مر – فلا بدع في أن يشهد هو أيضا لتلك اللغة شهادة لا ترد لأنها شهادة عارف وخبير بما يشهد وشهادة إمام صادق صدوق لا يتزلف ولا يكذب فيما يقول ويدعي ، بل الأمانة كانت دافعه للتنبيه على سلامة هذه اللغة التي دون بها فقهه الذي صار منهاجا لأكبر المذاهب الإسلامية لتطمئن القلوب إلى أحكامه[٣٠] لقد قال :" أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها وحفظت القرآن فما علمت أنه مر بي حرف إلا وقد علمت المعنى فيه والمراد "[٣١] ولهذا قال أيضا :" إذا وجدتم في كتابي

---

[٣٠] هذا مع ما يجوز لشخص بمواصفات الإمام الشافعي أن يعرف قدر نفسه بحق ويضعها موضع التسامي والفخر ما دام لا يدعي لها ما ينفيه الآخرون عنها ، و الشافعي شهد الجمع له قبل أن يشهد هو لنفسه ، قال أبو ثور الكلبي :" ما رأيت مثل الشافعي ولا رأى هو مثل نفسه " سير أعلام النبلاء ٤٦/١٠

[٣١] سير أعلام النبلاء ١٣/١٠

الخطأ فأصلحوه فإني لا أخطئ يعني في العربية"[٣٢] وتصديقا لقوله هذا وجدنا تلميذه الربيع بن سليمان [٣٣] ينصح بالثقة في لغة الشافعي والاطمئنان إليها وتنزيه مؤلفاته من أي لحن ، فقال :"أعربوا هذا الكتاب فان الشافعي لم يلحن"[٣٤] وعن الحسن بن محمد الزعفراني :"[٣٥] قلت للشافعي : انزل لنا عن اللغة قليلا فأنك تخاطب أهل العراق فقال : بذلة كلامنا صون كلام غيرنا "[٣٦]

ونعود لنعرض أقوال أهل العلم من فقهاء ومحدثين ولغويين ممن شهدوا للشافعي بالفصاحة العالية شهادة مدهشة لم يحض بمثلها احد غيره ممن جاء بعد عصور الفصاحة . وهي :

- – عن الإمام احمد بن حنبل :" كان الشافعي من أفصح الناس وكان مالك يعجبه قرأته لأنه كان فصيحا "[٣٧]
- عن إمام الحنفية محمد بن الحسن – وهو يحذر الرشيد من فصاحة الشافعي –: " يا أمير المؤمنين هذا المطلبي لا يغلبنك بفصاحته فأنه رجل لسن "[٣٨] وبانتباهة بسيطة إلى ما ذكر هنا نلاحظ أن المقرين بفصاحة الشافعي

---

[٣٢] مناقب الشافعي للبيهقي ٥٢/٢ و لا يجب أن يحمل كلام الشافعي هنا وقوله" إني لا أخطئ " على انه غرور منه وتبجح ؛ فأن لا يخطئ المتكلم في لغته التي يتداولها في التخاطب أمر طبيعي لا غرابة فيه ، والشافعي كانت الفصحى لغته وهذا ما شهد به غير الشافعي.

[٣٣] هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار ألمرادي ، كان الشافعي يقول إنه أحفظ أصحابي . رحل الناس إليه من أقطار الأرض لأخذ علم الشافعي ورواية كتبه توفي سنة سبعين و مائتين . طبقات الفقهاء ١٩٠/١ وفيات الأعيان ٢٩١/٢

[٣٤] مناقب الشافعي للبيهقي٥٢/٢

[٣٥] الإمام العلامة شيخ الفقهاء والمحدثين أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح البغدادي الزعفراني قرأ على الشافعي كتابه القديم وكان مقدما في الفقه والحديث وكان من الفصحاء البلغاء يقول الشافعي : رأيت ببغداد نبطيا ينتحي علي حتى كأنه عربي وأنا نبطي فقيل له من هو قال الزعفراني . توفي سنة ستين ومئتين . سير أعلام النبلاء ٢٦٤/١٢

[٣٦] مناقب الشافعي للبيهقي ٥٣/٢

[٣٧] آداب الشافعي /١٣٦

[٣٨] معجم الأدباء ٢٨٧/١٧

هم أصحاب المذاهب الإسلامية فبعد الإمام مالك (صاحب المذهب المالكي) يأتي الإمام احمد (صاحب المذهب الحنبلي) والإمام الحسن بن محمد (تلميذ الإمام أبي حنيفة ورأس الحنفية بعده) ليبادروا قبل غيرهم إلى بفصاحة الشافعي والثقة بلغته وإذا أضفنا إلى ذلك ما ذكره الشافعي نفسه مما عرضناه قبل قليل علمنا أن المذاهب الفقهية أجمعت على هذا الأمر وهذا يعطي للغة الشافعي قيمة كبرى وثقة عالية . وعدا هؤلاء الأئمة أدلى علماء وفقهاء ولغويون ممن عاصروا الشافعي و التقوه وسمعوا عنه مباشرة بشهادات ثناء وتقدير أخرى كما يأتي :

- عن ابن عبد الحكم[٣٩] :" ما رأيت الشافعي يناظر أحدا إلا رحمته لو رأيت الشافعي يناظرك لظننت انه سبع أكلك وهو الذي علم الناس الحجج"[٤٠]
- عن ابن هشام[٤١] صاحب السيرة :" جالست الشافعي زمنا فما سمعته تكلم بكلمة إلا إذا اعتبرها المعتبر لا يجد كلمة في العربية أحسن منها "[٤٢] وعنه أيضا:" طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنة قط قلت أنى يكون ذلك وبمثله في الفصاحة يضرب المثل كان أفصح قريش في زمانه وكان مما يؤخذ عنه اللغة "[٤٣] وعنه أيضا :" كان قوم من أهل العربية يختلفون إلى

---

[٣٩] هو عبد الله بن عبد الحكم أبو محمد الفقيه المالكي المصري كان اعلم أصحاب مالك بمختلف قوله وأفضت إليه رياسة الطائفة المالكية بعد أشهب وروى عن مالك الموطأ سماعا توفي سنة ٢١٤هـ . وفيات الأعيان ٣٤/٣

[٤٠] سير أعلام النبلاء ٥٠/١٠

[٤١] أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب العلامة النحوي الأخباري وفاته في سنة ثمان عشرة ومئتين. سير إعلام النبلاء ١٠ /٤٢٨ . وفيات الأعيان : ١٧٧/٣

[٤٢] معجم الادباء٩/ ٢٩٩

[٤٣] سير إعلام النبلاء١٠ /٤٩

مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية ، فقلت لرجل من رؤسائهم : إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا ؟ قالوا : نسمع لغة الشافعي [٤٤]

- عن الحسن بن علي[٤٥] :" ما رأيت أفصح من الشافعي ولا أعذب لسانا وقال أهل الصناعة في النحو : ما رأينا الشافعي لحن قط"[٤٦]
- عن يونس بن عبد الأعلى[٤٧] قال :" ما كان الشافعي إلا ساحرا ما كنا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله كأن ألفاظه سكر وكان قد أوتي عذوبة منطق وحسن بلاغة وفرط ذكاء وسيلان ذهن وكمال فصاحة وحضور حجة "[٤٨]
- عن " الربيع بن سليمان :" كان الشافعي عربي النفس عربي اللسان "[٤٩] وعنه أيضا:" كان الشافعي – والله – لسانه اكبر من كتبه لو رأيتموه لقلتم إن هذه ليست كتبه"[٥٠] وقال أبو نعيم بن عدي الحافظ[٥١] :" سمعت الربيع مرارا يقول :" لو رأيت الشافعي وحسن بيانه وفصاحته لعجبت ولو انه ألف هذه الكتب على عربيته التي كان يتكلم بها معنا في المناظرة لم نقدر على قراءة كتبه لفصاحته وغرائب ألفاظه غير انه كان في تأليفه يوضح للعوام"[٥٢]

---

[٤٤] نفسه

[٤٥] هو أبو علي الحسن بن علي بن يزيد البغدادي الكرابيسي كان جامعا بين الحديث والفقه سمي الكرابيسي لأنه كان يبيع الكرابيس وهي الثياب الخام مات سنه خمس وأربعين ومائتين . طبقات الفقهاء ص/١٩١

[٤٦] مناقب الشافعي للبيهقي ٢ /٢٦٦

[٤٧] هو يونس بن عبد الأعلى الصدفي أبو موسى احد أصحاب الشافعي المكثرين في الرواية عنه والملازمة له وكان كثير الورع متين الدين وكان علامة في علم الأخبار توفي سنة ٢٦٤ هجرية . وفيات الأعيان ٢٤٩/٧

[٤٨] سير إعلام النبلاء ١٠ /١٣

[٤٩] آداب الشافعي /١٣٧

[٥٠] سير أعلام النبلاء ١٠ /٤٨

[٥١] هو احمد بن عبد الله الأصفهاني الجامع بين الحديث والفقه والتصوف توفي في سنة ٤٣٠ هـ . طبقات الفقهاء ٢٢٧/١

[٥٢] سير إعلام النبلاء ٧٤/١٠

- عن " احمد بن أبي سيرج:[٥٣] ما رأيت أحدا أفوه ولا انطق من الشافعي"[٥٤]

وعدا هؤلاء العلماء الذين شافهوا الشافعي كان لأساطين اللغة والنحو والأدب والفصاحة تقويمهم الخاص للغة الشافعي وسلامتها جاء في عبارات الثناء الآتية:

- عن الجاحظ :" لم أر أحسن تأليفا من المطلبي ، كان فوه ينظم درا إلى در"[٥٥]
- عن المبرد :" رحم الله الشافعي كان اشعر الناس و آدب الناس واعرفهم بالقراءات"[٥٦]
- عن ثعلب:"إنما توحّد الشافعي باللغة لأنه من أهلها فأما أبو حنيفة فانه منها على بعد.. وفي رواية .. إنما توحد الشافعي باللغة لأنه كان حاذقا بها فأما أبو حنيفة فلو عمل كل شيء ما عوتب لأنه كان خارجا من اللغة"[٥٧]
- وعن أبي منصور الأزهري"[٥٨] :"عطفت على النظر في المؤلفات التي صنفها فقهاء أمصار المسلمين من الحجازيين والعراقيين وغيرهم من الأئمة المتقنين وذوي البصائر المميزين فدرستها وأخذت حظي من فوائدها وألفيت أبا

---

[٥٣] احمد بن أبي سريج عمر بن الصباح الحافظ العالم أبو جعفر الرازي قال النسائي : ثقة. توفي سنة بضع وأربعين ومئتين وكان من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء ٥٥٢/١١

[٥٤] آداب الشافعي / ١٣٧

[٥٥] مناقب الشافعي للبيهقي ٢٦٠/١

[٥٦] مناقب الشافعي للبيهقي ٤٨/٢

[٥٧] مناقب الشافعي للبيهقي ٥١/٢ ونحن لا نوافق ثعلبا في هذه الموازنة بين لغة الشافعي ولغة أبي حنيفة . ولعل الله يوفقنا إلى دراسة لغة أبي حنيفة ببحث آخر لنكون أكثر رسوخا في الحكم في مثل هذه الموازنة وإن كنا على ثقة بعلو لغة الشافعي على لغة أبي حنيفة في كل الأحوال ولكن هذا لا ينبغي أن يجرنا إلى الحط من لغة أبي حنيفة ورميه بالبعد عن اللغة .

[٥٨] الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة صاحب كتاب التهذيب في اللغة كان فقيها شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها وكان متفقا على فضله وثقته وذرايته وورعه توفي سنة ٣٧٠ هجرية .البلغة ١٨٦/١ وفيات الأعيان ٣٣٤/٤

عبد الله محمد بن إدريس الشافعي أنار الله برهانه ولقاه رضوانه أثقبهم بصيرة وأبرعهم بيانا وأغزرهم علما وأفصحهم لسانا وأجزلهم ألفاظا وأوسعهم خاطرا فسمعت مبسوط كتبه وأمهات أصوله من بعض مشايخنا وأقبلت على دراستها دهرا واستعنت بما استكثرته من علم اللغة على تفهمها إذ كانت ألفاظه (رحمه الله) عربية محضة ومن عجمة المولدين مصونة"[٥٩]

الدعوة إلى الاحتجاج بلغة الشافعي:

كانت تلك أقوال معاصريه أو من تلاهم ممن قارب عصرهم من العارفين بفصاحات المتكلمين . وكثرتها توحي بالإجماع عليها ، زد على ذلك أن أحدا لم ينقض شيئا من هذه الشهادات على الرغم من وجود من عارض الشافعي وعاداه وتتبع عليه هفوات و أغلاطا مزعومة في الفقه والحديث ، فلم يكن منها من اللغة إلا ثلاث مسائل زعموها من دون تثبت .[٦٠] ولهذا صرح كثير من العلماء- ومنهم لغويون ونحاة- بوجوب الاحتجاج بكلام الشافعي في اللغة والنحو قدامى ومحدثين. وهذه الكثرة التي توحي بالإجماع تبيح لمن يرغب في الاحتجاج بلغة الشافعي في أي منحى لغوي أن يستشهد بكلامه من غير أن يخشى لائمة لائم أو اعتراض معترض .

وهذه جملة من تصريحات هؤلاء العلماء بالاحتجاج بلغة الشافعي :

* عن أيوب بن سويد[٦١]: "حذوا عن الشافعي اللغة "[٦٢]

---

[٥٩] الزاهر /٣٣- ٣٤

[٦٠] وهي مردودة وسنحققها في موضعها من هذا البحث إن شاء الله .

[٦١] أيوب بن سويد محدث الرملة أبو مسعود الحميري السيباني الرملي توفي سنة اثنتين ومئتين . سير أعلام النبلاء٤٣٢/٩

- عن" محمد بن عبد الحكم – وسأله رجل فقال له أصلحك الله أكان الشافعي حجة في اللغة ؟ فقال : إن كان أحد من أهل العلم حجة فالشافعي حجة في كل شيء "[٦٣]
- عن " الربيع بن سليمان : قال سمعت عبد الملك بن هشام النحوي – صاحب المغازي وكان بصيرا بالعربية – يقول : الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة ."[٦٤] ومثل هذا يروى عن ابن سلام [٦٥]
- عن الإمام احمد بن حنبل : " كلام الشافعي في اللغة حجة "[٦٦] عن أبي الوليد بن الجارود [٦٧] :" محمد بن إدريس الشافعي لغة وحده ، يحتج به كما يحتج بالبطن من العرب "[٦٨]
- عن أبي عثمان المازني "[٦٩] :"الشافعي عندنا حجة في النحو "[٧٠]
- عن ثعلب"[٧١]:"يأخذون على الشافعي وهو من بيت اللغة يجب أن يؤخذ عنه"[٧٢]

---

[٦٢] مناقب الشافعي للبيهقي ٤٤/٢

[٦٣] مناقب الشافعي للبيهقي ٥٤/٢

[٦٤] آداب الشافعي /١٣٦

[٦٥] آداب الشافعي /١٣٧ . و ابن سلام هو أبو عبيد القاسم كان عالما بالقراءات واللغة والغريب وصنف الكتب الكثيرة فيها. صفوة الصفوة ١٣٠/٤

[٦٦] مناقب الشافعي للبيهقي ٤٢/٢

[٦٧] هو أبو وليد موسى بن أبي الجارود تفقه عن الشافعي وروى عنه وكان يفتي بمكة على مذهب الشافعي . طبقات الفقهاء ١٩١/١

[٦٨] مناقب الشافعي للبيهقي ٤٩/٢

[٦٩] المازني النحوي أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان وقيل كان إمام عصره في النحو والأدب أخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري له كتاب التصريف وكتاب الديباج توفي سنة ٢٤٧ هجرية .. وفيات الأعيان ٢٨٣/١

[٧٠] مناقب الشافعي للبيهقي ٤٤/٢

[٧١] ثعلب هو العلامة المحدث إمام النحو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي صاحب كتاب الفصيح وكتاب اختلاف النحويين وكتاب القراءات وكتاب معاني القرآن مات سنة إحدى وتسعين ومئتين. سير أعلام النبلاء ٥/١٤ ـ ٧

[٧٢] مناقب الشافعي للبيهقي ٥١/٢ ـ ٥٢

- عن الأزهري :"وقول الشافعي ثقة حجة ؛لأنه عربي اللسان ، فصيح اللهجة ، وقد اعترض عليه بعض المتحذلقين فخطا وقد عجل ولم يتثبت فيما قال . ولا يجوز للحضري أن يعجل إلى إنكار ما لا يعرفه من لغات العرب"[٧٣]
- عن الأسنوي"[٧٤] :"كان قوله حجة في اللغة كقول امرئ ألقيس ولبيد ونحوهما كما نقله ابن الصلاح في طبقاته في فصل المحمدين عن ابن هشام صاحب السيرة بسند صحيح ولهذا عبر ابن الحاجب في تصريفه بقوله :"وهي لغة الشافعي " كما يقولون لغة تميم وربيعة"[٧٥] وقال أيضا في (الكوكب الدري) :"وأما العربية فكان فيها هو الكعبة و المحجة والذي ينطق به فيها حجه كما شهد به واختلقته من علماء هذا الفن"[٧٦] .
- عن الإمام ألسبكي"[٧٧]ومسألة الاحتجاج بمنطق الشافعي في اللغة والاستشهاد بكلامه نظما ونثرا مما تدعو الحاجة إليه ، ولم أجد من اشبع القول فيه "[٧٨] رحم الله الإمام ألسبكي ، كلامه هذا هو أول ما أثار انتباهي إلى هذا الموضوع وحفزني إلى دراسته وإشباع القول فيه جهد استطاعتي .

---

[٧٣] تهذيب اللغة ٢٣٧/١ ولنا كلام في هذه الاعتراضات المزعومة والرد عليها في نهاية البحث

[٧٤] الأسنوي هو الشيخ أبو عبد الله جمال الدين الأسنوي كان إماما في الفقه وأكثر أهل زمانه إطلاعا على كتب المذهب وله مصنفات مشهورة كالمهمات وخادم العزيز والروضة والكوكب الدري وغيرها .طبقات الفقهاء ٢٧٥/١

[٧٥] طبقات الشافعية – جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي - تحقيق عبد الله الجبوري – بغداد – ١٩٧٠ وينظر قول ابن الحاجب في الشافية :١/ ٩٦.. ويردد ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث عبارات مشابهة ، من مثل :"وفي كلام الشافعي ..." أو " وما أكثر ما وجدته في كلام الشافعي " ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢١٥/١ و ٢/ ١٣٤ و ٢٨٧/٢

[٧٦] الكوكب الدري ١٨٧/١

[٧٧] ألسبكي هو حبر الأمة وأستاذ الأئمة في زمانه شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن علي الأنصاري الخزرجي ألسبكي كان ذا فراسة صادقة وذلاقة نافذة وله تصانيف مشهورة كالعمدة والطبقات الكبرى والوسطى والصغرى . طبقات الفقهاء ١/ ٢٧٣

[٧٨] طبقات الشافعية ١٦١/٢ – ١٦٢ وينظر شرح الدرة – للخفاجي ٢٥٠

• وعن محي الدين بن شرف صاحب (المجموع) :" إن الشافعي من أهل اللغة ، ومن فصحاء العرب الذين يحتج بلغتهم كالفرزدق وغيره ، لأنه عربي النسب والدار والعصر قال الأصمعي قرأت ديوان الهذليين على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي[٧٩]"

كما إن هذه الشهادات وجدت صدى طيبا عند بعض اللغويين المعاصرين من المستشرقين والعرب ، فأطلقوها ثانية دعوة لاستثناء كلام هذا الفصيح من قيد الشرط الزمني لعصور الفصاحة لما في ذلك من نفع للغة و متكلميها. وهذه بعض أقوالهم :

• قال سعيد الأفغاني : " لقد اخطؤوا حين تهاونوا بكتب الإمام الشافعي ومن في طبقته من الفصحاء الذين نشؤوا في بيئة سليمة ولم يتطرق الفساد إلى لغتهم ، وهذه إضاعة أسف لها حتى علماء المشرقيات من الأجانب ، والحق كلا الحق معهم ، فقد ذهبوا إلى إن بتدوين مثل الشافعي علوم الشريعة إغناء للغة العربية بوسائل التأدية ، أكثر مما أغناها به كثير من الشعراء. وهذه الناحية – مع الأسف – أهملها علماء الشرق إهمالا تاما واشتغلوا بشواهد لشعراء مجهولين . فكان هذا الاشتغال عبثا إذا قيس بذلك الإهمال "[٨٠]

• وقال زهدي يكن :" ليس كالشافعي علما في اللغة العربية ويكفي لنعرف علو منزلته فيها إن الأصمعي العالم الثبت الحجة الثقة ٠٠ العالم الذي اخذ من فصحاء الإعراب وأكثر الخروج إلى البادية وشافه الإعراب وساكنهم وكان أحفظ أهل زمانه قد صحح على الشافعي شعر الهذليين المعروفين بالبلاغة والرشاقة في البيان"[٨١]

---

[٧٩] المجموع ٩٣/٩

[٨٠] في أصول النحو :٥٧ . وينظر التطور النحوي لبرجستراسر ١٣٨

[٨١] ديوان الشافعي (جمع وتحقيق زهدي يكن) ١-٢

- وقال الدكتور الدعيبس:" وجمع الشافعي إلى جانب القرآن والحديث الفصاحة وحسن البيان والاطلاع الواسع على اللغة فاشتهر بإتقانها وعلو منزلته فيها وصار كلامه حجة للمستدلين به "[٨٢]
- وقال الدكتور رشيد ألعبيدي : ومن الحق أن نقر مع أبي منصور للإمام الشافعي فضله وتقدمه في علم اللغة ، فقد كان اعمق من غيره من الفقهاء في فهم لغة العرب ، وأكثرهم اضطلاعا بها"[٨٣] .

ولكن .. من احتج فعلا بلغة الشافعي ؟ !:

مما يؤسف له أن هذه الأقوال على كثرتها وعلى ما فيها من حث إلى اعتماد لغة الشافعي في الحجاج اللغوي لم نجد لها استجابة كبيرة عند اللغويين اللاحقين ، بل حتى عند قائليها أنفسهم ، ولاسيما من عرف منهم باللغة والنحو وله مؤلفات فيها كالمبرد وثعلب والمازني !!

فهم قد قالوا قولة الحق في لغة الإمام الشافعي ثم نسوها حتى لنعجب كيف خلت مؤلفاتهم من استشهاد بكلام الشافعي ؟!.

ولعل أول من حاول أن ينتفع بلغة الشافعي هو عبد الملك بن هشام (صاحب السيرة) فيروى انه " كان إذا شك في شيء من اللغة بعث إلى الشافعي يسأله عنه"[٨٤] . بيد إننا لا نعرف ما هذه المسائل اللغوية؟ وهل دونها أم لا ولكن أول خطوة عملية وجادة في العناية بلغة الشافعي أتت في القرن الرابع الهجري من أبي منصور الأزهري "والمعروف أن الأزهري شديد الانتصار

---

[٨٢] مقدمة تحقيق كتاب (بيان خطأ من اخطأ على الشافعي) للإمام البيهقي (تحقيق د. الشريف نايف الدعيبس)١٦-١٧

[٨٣] الأزهري والمعجمية العربية٥٧

[٨٤] مناقب الشافعي ٢/٥١-٥٢

لألفاظ الشافعي ، ولذلك اهتم بوضع معجم لغوي خاص بها يفسر الفاضة و مصطلحاته"[٨٥]

وكما وجدنا ابن الأثير الجزري يستشهد بشيء من كلام الشافعي في اللغة ، مثل قوله :"وفي حديث الشافعي رضي الله عنه : (كان مجالد يجلد) أي كان يُتهم ويرمى بالكذب"[٨٦] وقوله:" لغة فاشية في الحجاز يقولون (يريد يفعل) أي (أن يفعل) وما أكثر ما رايتها واردة في كلام الشافعي رحمة الله عليه"[٨٧] .

كما استدل الفيروزابادي بكلام الشافعي فقال:"والمسند من الحديث ما أسند إلى قائله جمعه : مسانيد و(مسانيد) عن الشافعي"[٨٨]

وقد استشهد الإمام السيوطي بكلام الشافعي في مسالة نحوية وهي استعمال (ليس) حرف عطف وهو مما فيه خلاف كبير بين النحاة . قال:"..وبه نطق الشافعي ، فانه قال في (الأم) في أثناء مسالة :"لان الطهارة على الظاهر ليس على الاجواف"[٨٩].

واحتج الفيومي بقول الشافعي :"افترق المتبايعان " رادا به على ابن الأعرابي الذي جعل (افترق) المخفف في المعاني و(تفرق) المشدد في الأعيان"[٩٠].

---

[٨٥] الأزهري والمعجمية العربية٨٦

[٨٦] النهاية في غريب الأثر ، أبو السعادات بن محمد الجزري ، بيروت ١٩٧٩م ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي:٢٨٥/١

[٨٧] النهاية في غريب الأثر ٢٨٧/٢

[٨٨] القاموس المحيط ٢٧٧١/١

[٨٩] همع الهوامع٢٦٤/٥ وينظر في هذه المسالة :شرح جمل الزجاجي لابن عصفور١/ ٢٥٥، الازهية في علم الحروف ٢٠٥، التصريح على التوضيح١٣٥/٢، مغني اللبيب ٢٩٦/١

[٩٠] المصباح المنير ١٢٥/٢

المبحث الثالث :المسائل التي أخذت على لغة الشافعي:

عرض هذه المسائل:

حاول (بعض المتحذلقين)- كما وصفه أبو منصور الأزهري – أن يلمز لغة الشافعي من دون ان تثبت منه فسجل عليها ثلاث مسائل فقط ظنها من الخطأ ، وما هي بخطأ كما سنحققه وقد عدل الأزهري و انصف حين قال :"وقد اعترض عليه بعض المتحذلقين فخطأه وقد عجل ولم يتثبت فيما قال ولا يجوز للحضري أن يعجل إلى إنكار ما لا يعرفه من لغات العرب"[٩١] .

ويروى عن محمد بن عبد الله الفقيه انه قال:"سالت (أبا عمر غلام ثعلب)- الذي لم تر عيني مثله – عن حروف أخذت على الشافعي :مثل قوله :"ماءٌ ملْح" ومثل قوله:ذلك "أدنى أن لا تعولوا" :أي :لا يكثر من تعولون ، وقوله :"أينبغي أن يكون كذا وكذا ". فقال لي :كلام الشافعي صحيح ، سمعت (أبا العباس ثعلبا) يقول : يأخذون على الشافعي ، وهو من بيت اللغة ، يجب أن يؤخذ عنه"[٩٢] .

مناقشتها :

١- ماءٌ مَلْح :

أكثر أهل اللغة على أن قولنا : (ماءٌ ملْح) افصح من قولنا : (ماءٌ مالح)، بل وصف القول الثاني بأنه لغة رديئة . جاء في (معاني القرآن للنحاس) :" ويقال ماء ملح ولا يقال مالح "[٩٣] وقال الرازي :" ملح الماء من باب دخل وسهل فهو ماء ملح ولا يقال مالح إلا في لغة رديئة"[٩٤] وحتى من اقر بصحة

---

[٩١] لسان العرب ٤٨٢/١١

[٩٢] مناقب الشافعي للبيهقي ٥١/٢-٥٢

[٩٣] معاني القرآن للنحاس ٣٧/٥

[٩٤] مختار الصحاح ٢٦٣/١

(ماء مالح) لم يفضله على (ماء مالح) ، بل غاية ما أراد هو أن لا يُخطّأ الناطق به ؛ لأنه من الفصيح الذي لا يلغيه وجود الأفصح وهو (ملح) . قال الآلوسي :"والأفصح أن يقال في وصف الماء (ماء ملح) دون ماء مالح وإن كان صحيحا كما نقل الأزهري ذلك عن الكسائي وقد اعترف أيضا بصحته ثعلب وقال الخفاجي الصحيح أنه مسموع من العرب كما أثبته أهل اللغة وانشدوا لإثباته شواهد كثيرة وعليه فمن خطأ الإمام أبا حنيفة (رضي الله عنه) بقوله ماء مالح فقد أخطأ جاهلا بقدر هذا الإمام "[٩٥] . وإذا كان الخفاجي قد عدّ تخطئة أبي حنيفة (رضي الله عنه) في ماء مالح وهي الأدنى فصاحة جهلا بقدره ، فان تخطئة الشافعي في (ماء ملح) وهي الأعلى فصاحة تكون اعظم إثما في الجهل بقدر الشافعي . فمن خطا الإمام هو المخطئ.

٢- "تعولوا" بمعنى تكثر عيالكم :

أقول : هذه المسألة ليست من لغة الشافعي كما زعم القائل بها ، بل هي رأي له وليست لغته والفرق واضح بين الأمرين ، فما هي إلا تفسير منه لقوله تعالى :"ذلك أدنى ألاّ تعولوا" (النساء/٣). ومع هذا لم يكن الشافعي مخطئا في هذا التفسير أيضا، فهذه الآية موضع خلاف واسع عند أهل التفسير واللغة . ووجه الاعتراض على تفسير الشافعي هنا هو أن (أعال) الرباعي هو الذي يكون بمعنى كثر عياله ولم يسمع هذا المعنى في (عال) الثلاثي كما ذكره الشافعي . فالخلاف هنا قائم على تأويل اللفظة القرآنية وهذا لا يعني أن تكون بالضرورة من لغة الشافعي نفسه حتى تؤخذ على فصاحته ،هذا إذا كان تأويل الشافعي لها غير صحيح أصلا .. وما هو كذلك ؛ فقد اثبت صحة هذا اللفظ بهذا المعنى لغة وتفسيرا غير واحد من أهل التأويل واللغة ، ثم إن الشافعي

---

[٩٥] روح المعاني ٣٤/١٩

لم يبتدع هذا التأويل ، فقد سبقه إليه بعض كبار التابعين الثقات . يقول القرطبي :"قلت أما قول الثعلبي:(ما قاله غيره) فقد أسنده الدار قطني في سننه عن زيد بن اسلم وهو قول جابر بن زيد فهذان إمامان من علماء المسلمين وأئمتهم قد سبقا الشافعي إليه... وأما عال كثر عياله فذكره الكسائي و أبو عمر الدوري وابن الأعرابي قال الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة : العرب تقول عال ويعول وأعال يعيل أي كثر عياله وقال أبو حاتم :كان الشافعي اعلم بلغة العرب منا ولعله لغة"[٩٦] ويقول الإمام الشوكاني :" قد سبق الشافعي إلى القول به زيد بن أسلم وجابر بن زيد وهما إمامان من أئمة المسلمين لا يفسران القرآن هما والإمام الشافعي بما لا وجه له في العربية .. وقد حكى ابن الأعرابي أن العرب تقول عال الرجل إذا كثر عياله وكفى بهذا"[٩٧] وقد زاد الآلوسي على ذلك حجة للشافعي فقال :"وقراءة طاووس :"أن لا تعيلوا"مؤيدة له فلا وجه لتشنيع من شنع على الإمام جاهلا باللغات والآثار وقد نقل الدوري إمام القراء أنها لغة حمير وأنشد :

وان الموت يأخذ كل حي بلا شك وان أمشى وعالا

أي وإن كثرت ماشيته وعياله".[٩٨]

٣- ينبغي أو انبغى :

الرواية التي استهللنا بها هذه المسائل خطأت استعمال الشافعي المضارع (ينبغي) ويكون وجه التخطئة حينئذ انه جاء به غير مسبوق بنفي بحجة أن هذا هو الوارد في القرآن الكريم ولغة العرب"[٩٩] ، وهذا يفهم من نص المثال الوارد

---

[٩٦] تفسير القرطبي ٢٢/٥

[٩٧] فتح القدير ٤٢١/١

[٩٨] روح المعاني ١٩٧/٤

[٩٩] ينظر معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة (محمد العدناني)٦٩

فيها وهو (أينبغي أن يكون كذا وكذا) ، ولكن الشائع أن التخطئة كانت في استعمال صيغة الماضي منه ، أي (انبغى) وهي صيغة تركتها العرب كما تركت الماضي من (يدع)"[١٠٠].

أقول:

كلا الوجهين للتخطئة غير صحيح ؛ لان الاستعمالين فصيحان تقرهما اللغة ويوثقهما العلماء والرواة :

فأما أن يكون الاستعمال القرآني لمضارع هذا الفعل لم يرد إلا مسبوقا بالنفي فهذا صحيح ، ولكن – والله اعلم – ليست اللغة هي المانع من ورود الاستعمال فيه بغير النفي ؛ لان اللغة تبيح ذلك كما سنرى ، بل لان القرآن قصد النفي لمعنى هذا الفعل في السياق الذي جاءت فيه الآيات التي ورد فيها ، ولو قصد الإثبات لكان استعمله بغير النفي . وهذه جملة من الشواهد التي تجيز استعمال (ينبغي) مثبتا :

– جاء في صحيح البخاري :"حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني يزيد عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال قلنا للنبي (صلى الله عليه وسلم) انك تبعثنا فننزل بقوم لا يقروننا فما ترى فيه فقال لنا ثم إن نزلتم بقوم فأمر لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف "[١٠١] وفي رواية أخرى :"حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة

---

[١٠٠] يستعمل الشافعي (انبغى) بكثرة في مؤلفاته إلى جانب استعماله المضارع (ينبغي) غير مسبوق بنفي وقد يجمع بينهما في السياق الواحد مثل قوله:"ابنُ عمر لعله ألاّ يكون سَمِعَ الحديثَ عن النبي في اللقطة ، ولو لم يسمعْه انبغي أنْ يقول:لا يأكلها ؛ كما قال ابن عمر : انبغى أنْ يفتيه أنْ يأخذها ، وينبغي للحاكم أن ينظر :.." الام ٧٤/٤ . وهذا يدل على انه كان على وعي من صحة الاستعمالين وان الحاجة تملي على المتكلم استعمال إحدى الصيغتين ولا حجر على إحداهما. ثم انه بحسب هذا النص يروي عن ابن عمر (رضي الله عنه) قوله:"انبغى" وهذا بمنزلة شاهد لغوي موثق.

[١٠١] صحيح البخاري ٨٦٨/٢

بن عامر (رضي الله عنه) انه قال قلنا يا رسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا فما ترى فقال لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم "[١٠٢]

– وجاء فيه أيضا :"حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال ثم كان عبد الله بن الزبير أحب البشر إلى عائشة بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر وكان أبر الناس بها وكانت لا تمسك شيئا مما جاءها من رزق الله إلا تصدقت فقال بن الزبير ينبغي أن يؤخذ على يديها فقالت أيؤخذ على يدي ! عليّ نذر إن كلمته.."[١٠٣]

والأمثلة على استعمال رواة اللغة وعلمائها (ينبغي) مثبتا اصعب من أن تحصى . وهذه أمثلة منها نذكرها على سبيل الاستئناس :

–" سأل الخليل الأصمعي عن الخبيث في هذا البيت فقال له أراد الخبيث وهي لغة خيبر فقال له الخليل لو كان ذلك لغتهم لقال الكتير وإنما كان ينبغي لك أن تقول إنهم يقلبون الثاء تاء في بعض الحروف"[١٠٤] .

–"وقال الليث الخطيئة فعيلة وجمعها كان ينبغي أن يكون خطائئ بهمزتين"[١٠٥]

–"وقال ثعلب في قوله تعالى يذرؤكم فيه معناه يكثركم فيه أي في الخلق قال والذرية و الذرية منه وهي نسل الثقلين قال وكان ينبغي أن تكون مهموزة"[١٠٦]

ولو منعنا استعمال الناس (ينبغي) لحجرنا واسعا من اللغة .

---

[١٠٢] صحيح البخاري ٢٢٧٣/٥

[١٠٣] صحيح البخاري ١٢٩١/٣

[١٠٤] لسان العرب ٢٨/٢

[١٠٥] لسان العرب ٦٧/١

[١٠٦] لسان العرب ٨٠/١

وأما اعتراضهم على استعمال (انبغى) ماضيا فحجتهم فيه أنه "مهجور وقد عدوا ينبغي من الأفعال التي لا تتصرف فلا يقال (انبغى) وقيل في توجيهه إن (انبغى) مطاوع (بغى) ولا يستعمل انفعل في المطاوعة إلا إذا كان فيه علاج وانفعال مثل كسرته فانكسر وكما لا يقال طلبته فا نطلب وقصدته فا نقصد لا يقال بغيته فانبغى لأنه لا علاج فيه "[١٠٧] وهذا الاعتراض مردود أيضا من أربعة أوجه :

١- إما كون انفعل في المطاوعة لا يأتي إلا لما فيه علاج (وهم يقصدون العلاج الحسي الذي يظهر له اثر تراه العين) فليس بمستمر لأنهم يقولون (انعدم) و(أنقال) ولا علاج فيهما ويقولون (انقطع فلان إلى رحمة الله) و(انكشفت لي حقيقة المسألة) و(المنكسرة قلوبهم) ولا نجد في مثل هذه التعابير علاجا مشاهدا. ولكن المتزمتين بهذه القاعدة " راحوا يفتشون عن الحجج ليدعموا بها ما خرج من الأمثلة عن قاعدتهم هذه فقد قرروا إن نحو (انقطع فلان إلى رحمة الله) و (انكشفت لي حقيقة المسألة) و (المنكسرة قلوبهم) من باب المجاز أما قولهم : (قلته فانقال) .، فلان القائل يعمل في تحريك لسانه ، والتحريك أمر مشهود محسوس[١٠٨]" وعلى هذا النحو فسر الزجاج العلاج في (انبغى) فقال :" يقال : (انبغى لفلان أن يفعل كذا) أي صلح له أن يفعل كذا وكأنه قال طلب فعل كذا فانطلب له أي طاوعه[١٠٩] " ومن أعياه القول بالمجاز ذهب إلى التخطئة فقرر أن انبغى وانعدم و انقال من الخطأ[١١٠] . ويقول الدكتور مصطفى جواد :" الانبغاء (انفعال) فهو من معالجة الفاعل فعلا في

---

[١٠٧] المصباح المنير ٦٤/١

[١٠٨] أوزان الفعل ومعانيه (د.هاشم طه شلاش) ١٥٨

[١٠٩] لسان العرب ٧٧/١٤

[١١٠] ينظر: مجموعة الشافية ٥٠/١-٥١ و٣٠/٢-٣١ والمناهل الصافية ٢٥

نفسه والباعث عليه هو رغبته فيه أو ميله إليه لا بتأثير مؤثر خارج عنه سموه (المطاوعة) اعتباطا ، فليس للمطاوعة اثر في لغة العرب على التحقيق وإنما هي من مخترعات الصرفيين تقول (انطلق) ولم يأمره أحد بالانطلاق و(انصرف) ولم يأمره أحد بالانصراف و(تقدم) ولم يوجب عليه أحد التقدم و (تعلم) ولم يلزمه احد العلم ، فقولهم (انبغى ينبغي) كقولهم (حق يحق و وجب يجب) إلا أن رغبة الفاعل في راهنة دائمة[١١١]"

٢- لا وثوق من زعم اللغويين أن العربية هجرت بعض تصاريف ألفاظها مما يصح قياسا مثل ودع وذر وانبغى وغيرها[١١٢].

٣- إثبات أهل اللغة والمعاجم صيغة الماضي هذه ، فقد جاء في العين للخليل :" تقول لا ينبغي لك أن تفعل كذا وما انبغى لك في الماضي أي ما ينبغي [١١٣]" . وفي لسان العرب :" وحكى أللحياني ما انبغى لك أن تفعل هذا وما ابتغى أي ما ينبغي [١١٤]"، وفيه أيضا :" وأجاب الخطابي وغيره بأنه يستعمل ماضيا ومضارعا (انبغى ينبغي) حكاه ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي عن العرب وعن ثعلب عن الأحمر قال قرأ أللحياني عن الكسائي في النوادر انبغ[١١٥] "

وفي المصباح المنير :" وحكي عن الكسائي أنه سمعه من العرب[١١٦]" وجاء في القاموس المحيط:" وما انبغى لك أن تفعل وما ابتغى وما ينبغي وما

---

[١١١] في التراث اللغوي للدكتور مصطفى جواد تحقيق د. محمد عبد المطلب البكاء: ١٠٥

[١١٢] ينظر مبحث (الفعل الممات) في كتاب (مسائل لغوية في مذكرات مجمعية) للشيخ محمد حسن آل ياسين ١٣٩-١٥٢

[١١٣] العين ٤٥٣/٨

[١١٤] لسان العرب ٧٩/١٤

[١١٥] لسان العرب ١٢٦/١

[١١٦] المصباح المنير ٦٤/١

يبتغي[١١٧] " وإلى جانب ذلك وجدنا كثيرا من علماء اللغة لا يتحرجون من استعمال الصيغة بمثل ما استعملهما الشافعي ، ونذكر من ذلك – استئناسا – قول ابن جني :" ومن زعم أن الكاف في (ذلك) اسم انبغى له أن يقول: ذلك نفسك[١١٨]." ، وقول ابن الأثير في النهاية :" يقال يألُ له أن يفعل كذا يولاً وأيَالَ له أيالة أي آن له وانبغى ومثله قولهم نولك أن تفعل كذا ونوالك آن تفعله أي انبغى لك[١١٩]" .

المصادر والمراجع

١- آداب الشافعي ومناقبه- لأبي محمد عبد الرحمن بنَ أبي حاتم الرازي (٣٢٧ هجرية) تحقيق عبد الغني عبد الخالق القاهرة ١٩٥٣

٢- الأئمة الأربعة – محمد علي قطب دار القلم بيروت.

٣- اثر القرآن والقراءات في النحو العربي – د. محمد سمير اللبدي الكويت ١٩٧٨ ط١

٤- الأزهري والمعجمية العربية – د. رشيد عبد الرحمن ألعبيدي – سلسلة الموسوعة العلمية الصادرة عن جامعة صدام للعلوم الإسلامية ٢٠٠١

٥- الأم- للشافعي (٢٠٤ هجرية) بيروت (١٣٩٣هجرية) ط٢

٦- أوزان الفعل ومعانيها – د. هاشم طه شلاش النجف الأشرف ١٩٧١

٧- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة- الفيروزأبادي (٨١٧ هجرية) الكويت (١٤٠٧هجرية) ط١ تحقيق محمد المصري

٨- بيان خطأ من أخطا على الشافعي –للإمام البيهقي (٤٥٩ هجرية) تحقيق د. الشريف نايف الدعيس، مؤسسة الرسالة ط٢/١٩٨٦ .

---

[١١٧] القاموس المحيط١/١٦٣١

[١١٨] الخصائص ٢/١٨٥

[١١٩] النهاية في غريب الحديث ٥/٢٩٠

٩- التطور النحوي للغة العربية- للمستشرق الألماني برجشتراسر- أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب الناشر مكتبة الخانجي ١٩٨٢م .
١٠- التعريفات – علي بن محمد بن علي الجرجاني (٨١٦ هجرية) بيروت ط١ تحقيق : إبراهيم الابياري
١١- تفسير القرطبي (٦٧١هجرية) دار الشعب القاهرة(١٣٧٢ هجرية) ــ ط٢
١٢- تهذيب اللغة – لأبي منصور الأزهري (٣٧٠ هجرية) مصر ١٩٦٦م .
١٣- الخصائص – لأبن جني – تحقيق محمد علي النجار بيروت ط٢
١٤- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب – لإبراهيم بن علي بن محمد المالكي(٨٥٢ هجرية) بيروت ١٩٧٢ ط٢
١٥- ديوان الشافعي – جمع وتحقيق زهدي يكن بيروت ١٩٦٢م .
١٦- روح المعاني – لأبي الثناء الالوسي (١٢٧٠ هــجرية) دار إحياء التــراث العربي بيروت
١٧- الزاهر – لأبي منصور الأزهري (٣٧٠ هــجرية) الكويت ١٣٩٩ هــ ط١ تحقيق د. محمد جبر الألفي
١٨- سير أعلام النبلاء – لأبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨ هجريــة) بيروت ١٤١٣ هــ ط٩ تحقيق شعيب الأرناؤط محمد العرقوسي
١٩- الشافعي حياته وعصره آراؤه وفقهه – محمد أبو زهرة دار الفكر العربي
٢٠- الشافية – لأبن الحاجب (٦٤٦ هجرية) مكة المكرمــة ١٩٩٥ ط١ تحقيــق احمد العثمان
٢١- شرح جمل الزجاجي –لأبن عصفور (٦٩٩ هــجرية) تحقيــق د.صــاحب جعفر أبو جناح ١٩٨٠م

٢٢- شرح درة الغواص – للشهاب الخفاجي (١٠٦٩ هجرية) ط١ مطبعة الجوائب قسطنطينية ١٢٩٩ هـ .
٢٣- شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي – د. احمد كمال زكي دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٩م.
٢٤- صفوة الصفوة –أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧ هجرية) بيروت ١٩٧٩ ط١ تحقيق : محمود فاخوري ومحمد رواس
٢٥- طبقات الشافعية – جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي (٧٧٢ هجرية) تحقيق عبد الله الجبوري – بغداد – ١٩٧٠م .
٢٦- طبقات الفقهاء – إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (٤٧٦ هجرية) دار القلم بيروت ١٩٩٨ط١ تحقيق خليل الميس
٢٧- العربية – يوهان فك – ترجمة : د. رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨٠
٢٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيرواني – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط٢ ١٩٦٥
٢٩- العين – للفراهيدي (١٧٥ هجرية) دار ومكتبة الهلال (١٤٠٢هجرية) ط١ تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي
٣٠- فتح القدير- للإمام الشوكاني (١٢٥٠ هجرية) دار الفكر بيروت
٣١- في أصول النحو – سعيد الأفغاني دار الفكر بيروت
٣٢- في التراث اللغوي – للدكتور مصطفى جواد – تحقيق د. محمد عبد المطلب البكاء بغداد ١٩٩٨م ط١
٣٣- القاموس المحيط- للفيروزأبادي (٨١٧ هجرية) لبنان (١٣٩٩هجرية) ط٢- تحقيق محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣٤- القياس في اللغة العربية – محمد الخضر حسين بيروت ط٢ ١٩٨٣
٣٥- الكشاف- للزمخشري (٥٣٨ هجرية) بيروت
٣٦- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون – حاجي خليفة (١٠٦٧ هجرية) بيروت ١٩٩٢م ط١ تحقيق إبراهيم الزيبق
٣٧- لسان العرب-لابن منظور(٧١١هجرية) دار صادر بيروت
٣٨- اللغة والنحو بين القديم والحديث- عباس حسن دار المعارف بمصر ط٢ ١٩٧١
٣٩- المجموع- لمحيي الدين بن شرف (٦٧٦هجرية) بيروت ١٩٩٦ ط١ تحقيق محمود مطرحي
٤٠- مجموعة الشافية – عالم الكتب بيروت
٤١- مختار الصحاح – لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٧٢١هجرية) بيروت ١٩٩٥ م تحقيق محمود خاطر
٤٢- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – للسيوطي (٩١١ هجرية) دار إحياء الكتب العربية عيسى ألبابي الحلبي وشركاه- تحقيق محمد احمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم
٤٣- مسائل لغوية في مذكرات مجمعية – للشيخ محمد حسن آل ياسين مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٩٢ م .
٤٤- المصباح المنير – للفيومي (٧٧٠ هجرية) تصحيح مصطفى السقا مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده بمصر
٤٥- معاني القرآن الكريم – لأبن النحاس (٣٣٧هجرية) جامعة أم القرى مكة المكرمة (١٠٤٩هجرية) ط١ تحقيق محمد علي الصابوني
٤٦- معجم الأدباء – ياقوت الحموي دار إحياء التراث العربي بيروت

٤٧- معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة-محمد العدناني بيروت مكتبة لبنان ١٩٨٦ م .
٤٨- المفصل في تاريخ النحو العربي -- محمد خير الحلواني مؤسسة الرسالة بيروت ط١ ١٩٧٩ م .
٤٩- مناقب الشافعي – للبيهقي (٤٥٨ هجرية) تحقيق السيد احمد صقر دار التراث القاهرة ط١ ١٩٧٠ م .
٥٠- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة – د. نعمة رحيم العزاوي مطبوعات المجمع العلمي العراقي ٢٠٠١ م .
٥١- المناهل الصافية إلى كشف معاني الشافية – لطف الله بن محمد بن الغياث (١٠٣٥هجرية) تحقيق د. عبد الرحمن محمد شاهين
٥٢- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع – د. نعمة العزاوي وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية ١٩٧٨ م .
٥٣- النهاية في غريب الحديث والأثر –أبو السعادات بن محمد الجزري (٦٠٦ هجرية) بيروت ١٩٧٩ م تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي
٥٤- همع الهوامع – للسيوطي (٩١١هجرية) القاهرة
٥٥- وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان- ابن خلكان(٦٨١هجرية) بيروت ١٩٦٨ م ط١ – تحقيق:د. إحسان عباس